عصور - تصنيف ج- المجلد 22 / العدد03 - ديسمبر 2023
EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

معرف الكائن الرقمي للمقال:(DOI) 10.54239/2319-022-003-016

الأمير عبد القادر الجزائري الفارس والطبيب والبيطري في خضم مواجهة الاحتلال الفرنسي1832.1847.

Prince Abdul Qadir Al Jazairi, the knight, doctor, and veterinarian in the midst of confronting the French occupation, 1832-1847

ط.د مصطفى خروس*
مخبر الجزائر والحوض الغربي للمتوسط
جامعة الجيلالي يابس سيدي بلعباس/ الجزائر
mustafa. kharous@ahoo.com
أ.د. سمية لوافي
جامعة الجيلالي يابس سيدي بلعباس/ الجزائر
louafisoumia22@gmail.com

تاريخ الإرسال:2023/07/30 تاريخ المراجعة: 2023/08/30 تاريخ القبول:2023/10/20

الملخص:

تجتمع عدة أوصاف وخصائص في شخصية الأمير عبد القادر الجزائري الذي اكتملت فيه منذ الصبى إلى غاية تقلده زمام إمارة الحرب بداية من عام 1832 ضد العدو الفرنسي، وإضافة لذلك كان الرجل على دراية بدقائق الطب والبيطرة، حيث كان على إطلاع كبير بأمور العلاج والصّحة حتى أنّه خصّص كتابا كاملا يتحدث فيه عن العلوم وأصنافها ودورها ومنها الطب في كتاب ذكرى العاقل وتنبيه الغافل كما أنّه تعلم منذ الصغر فنون الفروسية واكتسب مهارة البيطرة من خلال إلمامه بكيفيات العناية والرعاية بالحيوانات.

ففي هذه الدراسة سنسلّط الضوء على شخصية الأمير الفارس والطبيب والبيطري من خلال ما نظّر له في كتاباته وقوانينه العسكرية وما قام به في الميدان ومن شهادات الكتاب

* **ط.د.** مصطفى خروس، جامعة سيدي بلعباس

الأجانب عنه، وهذا لاكتشاف شخصية أخرى في الأمير لم تحظ بالاهتمام اللازم من المؤرخين والباحثين متبعين المنهج التاريخي التحليلي

الكلمات المفتاحية :الأمير؛ عبد القادر الجزائري؛ الطبيب؛ البيطري؛ الاحتلال الفرنسي؛ الفارس؛ الحرب؛ الصحة.

Abstract :

Several descriptions and characteristics meet in the personality of Prince Abdelkader of Algeria, which were completed in him from the boy until the year 1832 against the French enemy, and in addition to this, the man was aware of medicine and veterinary, as he was very familiar with matters of treatment and health.

He wrote an entire book in which he talks about the sciences, their types, and their role, including medicine, in the book The Memory of the Intelligent and Warning the Heedless. He also learned equestrian arts from an early age and acquired the skill of a veterinarian through his knowledge of how to care for animals.

In this study, we will be interested in the personality of the Prince, the doctor and veterinarian through what

He wrote in his writings and military laws and what he did in the war and from the testimonies of foreign writers about him, and this is to discover another personality in the prince who did not receive the necessary attention from historians and researchers, who followed this study.

Keywords: Prince; Abdul Qadir Al-Jazaery; Doctor Veterinarian; French Occupation; Knight;war ; the health

مقدمة:

لطالما شكلت شخصية الأمير عبد القادر الجزائري الاستثناء على المستوى الوطني والعربي والعالمي بشهادات الصديق والعدو، واليوم تفرض نفسها بقوة على الضمير الإنساني العالمي ،نظرا لما تميّزت به من خصال ومواصفات قلّما توفرت لقائد عسكري عبر التاريخ.

قاد الحرب ضد الفرنسيين منذ 1832، من منطلق الواجب الديني والوطني، وبرع في عدة مجالات وميادين منها: الفروسية والطب، وسنحاول في هذه الدراسة إبراز دوره

الطبي في الاهتمام بصحة الإنسان والحيوان على السواء، ونتوقف عند ما دوّنه من معارف وقوانين وما قام به في ميدان الحرب حتى تتعرف عليه الأجيال أكثر وتعتبر من شخصيته العبقرية التي كانت لها مهارات واسعة في فنون الكتابة والحرب والطب وغيرها.

ففي هذه الدراسة سنسلّط الضوء على شخصية الأمير الفارس والطبيب والبيطري من خلال ما نظّر له في كتاباته وقوانينه العسكرية وما قام به في الميدان ومن شهادات الكتاب الأجانب عنه ،وهذا لاكتشاف شخصية أخرى في الأمير لم تحظ بالإتمام اللّازم من المؤرخين والباحثين مطبقين المنهج التاريخي التحليلي وهذه الدراسة تثير إشكالية مدى اهتمام الأمير عبد القادر بالجانب الطبي والصحي في حربه ضد الفرنسيين ؟

1.لمحة عن حياة الأمير عبد القادر الجزائري:

لكل وطن رجالاته وزعمائه وقياداته، وضعوا بصماتهم في صفحات التاريخ، والجزائر كغيرها من الأوطان حفلت بأبطال صنعوا أروع الملاحم ضد الغزاة الذين احتلوها بداية من عهد الرومان ونهاية بعهد الفرنسيين هذا الأخير الذي بزغ فيه نجم قائد ورائد مقاومة شعبية، ألا وهو عبد القادر بن محي الدين.

ولد الأمير عبد القادر في زمن تكالب الاستعمار الأوربي على دول المغرب العربي، لاسيما أنّ الجزائر تعرّضت لمحاولات الاستعمار مدة 3 قرون خلال الحكم العثماني . ويتفق معظم المؤرخين على أنّ عبدا لقادر ولد يوم الجمعة في الثالث والعشرين من رجب 1222هـ/ الموافق لشهر ماي 1807)هنري(15 .p ,1997 , أمه السيدة الزهراء، وأبوه الشيخ محي الدين في قرية القيطنة)سعيدوني ,د.ت(155 .p , التي تبعد 28 كلم عن معسكر والتي كانت مقصد لطلاب العلم، وقد اختط جده هذه القرية على سفح جبل استنبول على الجهة اليسرى لوادي الحمام (سعيدوني، د.ت، صفحة 155) .

تربى الابن عبد القادر في بيئة دينية وصوفية محافظة، تحت رعاية

واهتمام والده مُحي الدين، حصل له التمكن الديني، والعلمي والفقهي، في سن مبكرة (alex, 1863, p. 14) الأمر الذي أهّله لتحمل المسؤولية في صغره قبل كبره وتحقيق

اكتمال شخصيته فيها "وليس من العجيب أن يحصل تدريجيا شخص موهوب بالطبيعة وجاد في فن الثقافة العصامية والإصلاح الديني على تفوق عظيم على كل من حوله " (alex, 1863, p. 14) تربّى وكبر على حب الصيد، فكان فارسا شجاعا يشار له بالبنان، واستلهم الابن من والده ما أمكنه من قواعد ومبادئ التعلم من قراءة وكتابة وأتقنها وهو في سن مبكرة جدا مما يوحي بنبوغ عقلي غير عادي لديه) هنري(39 .p ,1997 ,وفي سن 12 كان قد وصل إلى درجة طالب، متمكنا من علوم القرآن والحديث والشريعة وحصل على لقب حافظ، وكانت له ملكة ترتيل القرآن)هنري(39 .p ,1997 ،، في السن 17 من عمره اشتهر عبد القادر الشاب بالبأس وقوة البدن والفروسية. وفي ذلك يقول روسي CAMILLE ROUSSETC : "حيث ظهرت علامات القوة والشجاعة في الطفل،وفي سنة 1832 كان عمره 24 سنة،قامته متوسطة ،وجهه جميل، لا يعرف التعب، كان الأفضل من بين الفرسان الأوائل في العالم"(rousset, 1887) .

خاض الأمير عبد القادر حربه الدفاعية ضد العدو الفرنسي من منطلق ديني جهادي، بعد عامين من استيلاء الفرنسيين على مدينة الجزائر، وتمّت مبايعته بتاريخ 27 نوفمبر1832، واستمر جهاده ضد الفرنسين مدة 15 سنة إلا أنه أضطر للتوقف عن المقاومة بعد ضعف قواته ومحاصرته من طرف الجيش الفرنسي وأيضا المغرب، ومساندة القوى المحلية والقبائل المخزنية التي ساعدت في القضاء على مقاومته سنة.1847م وفي سياق ذلك يقول أحمد الشقران" وحصلت المشقة للناس والتعب بتكرر الفرار وأجهدهم الجوع والعطش (أحمد، د.ت، صفحة 8-9) وهذا مثال عن الدوافع التي فرضت على الأمير توقيف الحرب ضد فرنسا.

2- الثقافة الطبية عند الأمير:

يعد الأمير عبد القادر موسوعة في جميع المجالات فهو فارس وعالم وصوفي، وفقيه وسياسي وشاعر، أديب فله في مجال الطب ثقافة قيمة نظّر لها في مؤلفاته ونلتمس ذلك في كتابه "ذكرى العاقل وتنبيه الغافل " فهو يقول "فإنّ الذهب يستخرج من التراب والنرجس من البصل والترياق من الحيات" (عبدالقادر، د.ت.ن، صفحة 5) .

والترياق في اللغة، هو ما يمنع ميكانيكيا من امتصاص السّم من المعدة و الأمعاء (د.ت، صفحة 85)، وتحدّث أيضا عن قضية النكاح أو اللقاح بين الذكر والأنثى وبضرب بها المثل في تحصيل العلوم كما أعطى النموذج بالإنسان الذي يعتبره كجسم من الأجسام يشبهه بالنبات في الغذاء والنسل (عبدالقادر، د.ت.ن، صفحة 12) وهي مطابقة صحيحة والدليل على أنّ الأمير واسع الإدراك بأمور الطب والبيطرة يستطرد في ذكر مواصفات الفرس": أن يكون شديد العدو معتدل القوائم في الطول والقصر مدركا لإشارات الراكب .ويصفها بالفرس الكامل إذا ما توفرت هذه الخصائص (عبدالقادر، د.ت.ن، صفحة 13) .

تطرّق إلى الحديث عن اللذة وأنواعها، فاللذّة الجسمانية تدفع الألم ،فلذّة الأكل تحارب ألم الجوع ولذة الجماع تدفع ألم امتلاء أوعية المني (عبدالقادر، د.ت.ن، صفحة ص14) ويُقسّم قوائم الجسم إلى أساسية ومكملة ، فالعقل والدماغ والكبد أصول تخدمها المعدة والعروق والشرايين والأعصاب والأوردة (عبدالقادر، د.ت.ن، صفحة 20).

وضّح ثمار الطب وأهميته: "وثمرة الطب السلامة في الدنيا هي سلامة بدنية منقطعة وإذا نسب الحساب إلى الطب كان الطب أشرف باعتبار ثمرته والحساب أشرف باعتبار قوة أدلته وصحتها وملاحظة الثمرة أولى ولذلك كان الطب أشرف وأن كان أكثر الطب بالظن (عبدالقادر، د.ت.ن، صفحة 23).

تناول الأمير مسألة الحجامة، وهي طريقة تداوي إسلامية اعتبرها إحدى العلوم الضرورية "فلو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك الى أهل ذلك البلد (عبدالقادر، د.ت.ن، صفحة 42) " وهي طريقة طبية حثّ عليها النبي عليه الصلاة و السّلام، و تعتمد آلية الحجامة على خلخلة الهواء فوق نقاط أماكن معروفة في الجسم عن طريق آلة ذات تجويف لها فُتحتين تمتصّ الهواء من إحداها أو قارورة مفرغة من الهواء ميكانيكيا أو بإحراق قطعة صغيرة من القطن فينتج عنه عملية احتقان للمكان الواقع تحت موضع الحجامة)الشهري(2006, p. 22 , .

ويصف مهام وأدوار الطبيب وتعامله، ويستدل بقياس النبض عند المريض لكشف العلّة أو المرض وتعرّض لمسألة الدخلاء على الطب وأخطائهم في التشخيص مما يسبب

الهلاك)عبدالقادر ,د.ت.ن(50 .p , ويفرّق الأمير بين الطبيب الحاذق والماهر وبين غيره من الدخلاء على المهنة.

يرتقي الأمير بالعلوم الشرعية الى مرتبة سامية كغيرها من العلوم العقلية، في منافعها وثمارها، خاصة في جانب الطب، ويعتبر أنّ استكمال تعلم العلوم الشرعية ينضج العقل ويسلم من الأمراض" ويحتاج الإنسان إلى معرفة خواص الأدوية والعقاقير بطريق التعلم من الأطباء")عبدالقادر ,د.ت.ن(53 .p , .

كثيرا ما يقع الأطباء في أخطاء علاجية، وحتى المريض يمكن أن يبادر بتداوي نفسه ويجهل علة مرض، ويخطأ في اختيار الدواء ويقول في ذلك:"فكم من شخص يصيبه مرض في أصبعه فيقتضي عقله أن يطليه بالدواء حتى ينبه الطبيب الحاذق أن علاجه أن يطلي الكتف من الجانب الآخر من البدن فإذا عرّفه الطبيب كيفية انشعاب الأعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن أذعن")عبدالقادر ,د.ت.ن60 .p ,(61.

أشار أيضا لمادة الأفيون وخطورتها والتي تسبب أثارا عقلية وبدنية ونفسية واجتماعية واقتصادية وعلاجها صعب إن لم يكن مستحيلا في بعض الحالات "فإن وزن دانق من الأفيون سم قاتل" (عبدالقادر، د.ت.ن، صفحة 64) وهي مادة مخدرة تُستخرج من نبات الخشخاش، وتُستخدم لصناعة الهيروين.تُعتبر مادة دوائية تكون على شكل عصارة لبنية تخرج عند تجريح الثمار الكروية الحافظة لبذور الخشخاش. ورغم أنه مادة علاجية فإنه يهدد صحة الإنسان في حالة الإدمان عليه، لأنه يسبب تجمد للدم في العروق بسبب قوة برودته ،لاحتوائه على عنصري التراب والماء (عبدالقادر، د.ت.ن، صفحة 69) .

تعرّض لطريقة حفظ المأكولات، حتى تبقى صحية بعيدة عن الجراثيم والمكروبات، لأنّها إن لم تحفظ بطريقة جيدة ستسبب المرض للإنسان، فالمعادن مثل: الذهب والنحاس والطين تحفظ المأكولات والمشروبات من الفساد (عبدالقادر، د.ت.ن، صفحة 58) .

في معرض الحديث عن الشرائع السماوية وهي اليهودية والمسيحية وما تخللهما من تحريف وتزييف، ذكر الأمير جوانب صحية وفطرية في الإنسان كالختان والغسل من

الجنابة وفوائدهما ومنها زوال النجاسة (عبدالقادر، د.ت.ن، صفحة 74) وعن تعاطي الدواء وأنواعه وأوصافه وكيفياته ويقول عنه" وكذلك المريض يشرب الدواء المرّ وهو من الشفاء على شك ،ومن مرارة الدواء على يقين (عبدالقادر، د.ت.ن، صفحة 82).

كان للطب النفسي مكانة في كتابات الأمير عبد القادر عندما تحدث عن أهمية الصناعة الغذائية ودورها في القضاء على الجوع حاثا على المشاركة والاجتماع الإنساني وتوظيف كل الحواس والإشارات الحوار مع الآخرين وأن تكون له القدرة في قراءته من خلال الإشارة أو النطق أو الملامح (عبدالقادر، د.ت.ن، صفحة 85) وهذا ما يدرس اليوم في الجامعات والمعاهد تحت اسم علوم التنمية البشرية التي تؤكد على أنّ الإنسان هو أداة وغاية التنمية وسيلة لضمان الرخاء للمجتمع، وعملية تنمية وتوسع للخيارات المتاحة أمام الإنسان وقد عرفته تقارير الأمم المتحدة اليوم أنها عملية تهدف إلى زيادة قدرات المتاحة أمام الناس ومع كون هذه الخيارات غير محدودة فإنّه يمكن تمييز ثلاث خيارات مهمة في ضرورة أن يَحي الناس حياة طويلة خالية من العلل وأن يكتسبوا المعرفة اللازمة وأن يحصلوا على الموارد اللازمة لتحقيق مستوى حياة كريمة (الغندور، 2011، صفحة 3) .

للقلب في جسم الإنسان دور حيوي لأنّ بدن الإنسان لا يتم إلّا به ،الذي هو معدن الحرارة الطبيعية وينفث النسيم البارد إليه كل ساعة ليحافظ على اعتدال الجسم ويشبّه الأمير أعضاء الجسم كلها بالآلات فعن طريقه يدخل الهواء البارد إلى القلب ومكوث النسيم فيه يسبب السخونة والفساد (عبدالقادر، د.ت.ن، صفحة 88) .

3. الصحة في دولة الأمير عبد القادر:

إنّ قيادة الحرب تستلزم مجموعة من الضروريات وعلى رأسها الجانب الطبي الذي يعد عاملا استراتيجيا في حسم المعارك لأيّ جيش لأنّ الحرب و انعكاساتها، تُخلّف المخاطر والأهوال على رأسها الأمراض والأوبئة وقد تكون للطبيعة نصيب من هزائم الجيوش، لذلك فالجيوش تتجهّز بترسانة من الأطباء لمقاومة الأمراض ومواجهة الطبيعة.

كان الأمير أمام تحديات كبرى، وعلى رأسها التحدي الطبي والصحي ، فأيّ نقص أو خلل في إستراتيجيته العسكرية سيكون مآلها الفشل، رغم أنّ إمكانيات الأمير كانت محدودة فإنّه استطاع بالموارد البسيطة أن يكفل تغطية صحية مناسبة لجيشه، والاعتماد على الموروث القديم من الطب الشعبي في معالجة المرضى والجرحى، والعناية بالحيوانات .

ففي الجانب العمراني بنى الأمير المارستانات المخصصة للمرضى من بين عساكره في كل المقاطعات وخصّص لكل مارستان أربعة أطباء وكان الطبيب أبي عبد الله الزروالي وهو طبيب مارستان معسكر وهو المرجع في الطب عنده، كان مشهورا بسمعته وبخبرته في العلاج (بوعزيز، 1983، صفحة 94) .

وفق القوانين العسكرية التي وضعها الأمير عبد القادر كان للجريح والمصاب من جنوده نصيب من التكفل والتعويض، فإذا كان الجرح بليغا ويمنعه من المشي وفي المقابل يقدر على الركوب والقتال يجعله الأمير خيالا وإن تعذر ولم يستطع القتال يعفى منه ويجري راتبه إلى أن يموت (بن رويلة، د.ت، صفحة 15)، والرجل العسكري إذا أصابه مرض خطير يحرمه من الخدمة يشهد له الأطباء بذلك، ويعطى له نصف راتبه (بن رويلة، د.ت، صفحة 16) وقد كانت لصحة العسكري أولوية كبيرة في عرف الأمير عبدالقادر، ففي كتاب "وشايح الكتايب " يذكر أنّ المريض من الجيش المحمدي تبقى بندقيته تحت السياف بعيدا عنه حتى يشفى ويعود لصحته (بن رويلة، د.ت، صفحة 23) وفي القانون الرابع والعشرون من النظام العسكري الذي فرضه الأمير يفصل في الطب العسكري كما يلي (بن رويلة، د.ت، صفحة 24) :

- تخصيص أطباء ماهرين وعارفين بخبايا الطب.

.توفير الأدوية لتكون في متناول الأطباء .

- تخصيص دار بمثابة مشفى للعساكر المرضى والجرحى وتوفير ضروريات الأكل والشرب والغطاء والفراش.

- تعيين متخصصين من الضباط عنده تتوفر فيهم مزايا الآداب والأخلاق وطلاقة الوجه لمتابعة المرضى وتوفير جو الاستئناس والراحة لإبعاد الملل والضيق عنهم.

ـ يخصص راتب الطبيب من بيت المال وللطبيب أعلى رتبة 12 ريالا في كل شهر وما يحتاجه من أكل وشرب يوميا.

عانى الأمير عبد القادر من أهوال الحرب ومن قساوة الطبيعة، واستطاع تحديها بإمكانياته البسيطة مقارنة بما توفر للفرنسيين من موارد وإمكانيات ومصنوعات تحمي أنفسهم من كل المخاطر سواء من الجوع أو العطش أو البرد أو المرض والأوبئة. ففي رحلة الشيخ محي الدين وابنه للحج إلى المشرق1825 (الحيدري، د.ت، صفحة 481)تعرضوا لموجه برد قارص كادت أن تودي بحياتهم ": وكانوا يسيرون غالبا وهم يتدرؤون بأجساد الجيل وانتاب السعال أكثرهم " (ايتين، 1997، صفحة 100).

كثّفت فرنسا من إرسال بعثات علمية واستكشافية للاستعلام والاستخبار عن مناطق الجزائر بعد احتلالها سنة 1830 ،وكان ضمن الرحلات ضباط وأطباء مغامرين، رجال دين ،لإنجاز تقارير تمكن الإدارة الفرنسية من السيطرة والاحتلال (طاهري:، 2020، صفحة 310) ، يقول بيير بروجر في رحلته إلى الجزائر " من بين مرافقينا في السفر الدكتور بوديشون الذي أحسن التصرف عندما حمل حقيبته وبعض الأدوية وعندما شاع في المعسكر على أنه طبيب تراكمت عليه الخدمات" (بروجر، 2005، صفحة 93).

ويضيف "أن أغلبهم كان يشتكي من وجع الأسنان ولا يعرف الطبيب إلى من يستمع" (بروجر، 2005، صفحة 93) ويتحدث بير بروجر عن شخصية سيدي السعدي المنحدر من نسل المرابط الذي ما يزال قبره في باب الواد إلى جانب قبر سيدي عبد الرحمان الذي كان من بين مرضاه أيضا وقد وضع له الطبيب ضمادة على جرح خفيف فيه ساقه وهو جرح لا يرجع تعفنه الا لعدم النظافة فقط (بروجر، 2005، صفحة 93) ما يدلّ على أن الكثير من الأمراض المتفشية قد يعود إلى غياب العناية بالصحة، وإهمال النظافة.

وفي معسكر الأمير عبد القادر كانت النساء أيضا تقمن بعمل التطبيب وعلى رأسهن السيدة لالة زهرة والدة الأمير حيث تقوم برعاية السجينات، وتقدم لهن الرعاية الصحية كن يتناولن من طرفها شخصيا هدايا مثل الزيت والزبدة واللّحم ومواد أخرى

لطعامهنّ وفي حالة المرض تغمرهُن بحنانها وعطفها وتحضر لهن الشاي والقهوة والسكر وكل شيء يظن أنه يخفف عنها الألم ويوفر لها الراحة (هنري، 1997، صفحة 205) .

كما أنّ الأمير كان دوما يحث على نظافة المياه من التلوث حفاظا على صحة جيشه في الزمالة ويوضح ذلك كما يلي: "لقد أقمت قوة خاصة من الشرطة لمنع تلويث المياه أو تبذيرها من قطعان الماشية، ورغم جميع إحتياطاتي فإن كثيرا من أفرادها هلكوا من العطش") هنري(215 .p ,1997 , وهذا بسبب العدد الكبير الذي كان يسكن الزمالة ونقص المياه خاصة في فصل الصيف.

في مرحلة الضعف والانهيار وخمود نار المقاومة كان الأمير يشعر بتأنيب الضمير ويقود ما تبقى من جيشه وعائلته سنة 1847، خاصة النساء والأطفال والجرحى ومع نقص التموين وجد الأمير عبد القادر نفسه مضطرا لتوقف الحرب ضد الجيش الفرنسي.

4 ـ مبدأ النظافة داخل جيش الأميروالنظام العقابي:

وضع الأمير عبد القادر الجزائري قوانين تنظيمية للجيش من أجل ضمان الطاعة والانضباط، حيث تفرض القوانين على أغا الجيش الحرص على نظافة جنوده سواء كانت الكسوة أو السلاح، فمن أهمل كسوته أو سلاحه وتركه عرضة للوسخ يحبس ثلاثة أيام)منشورت مخبر بحوث الإجتماعية والتاريخية ,د.ت.ن، (215 .p , في ما يخص أطباء الأمير يبدو أن مع بداية مقاومته لم يكن الأمير يتوفر على أطباء ذو كفاءة وهو ما يذكره شارل هنري تشرشل في أحد المعارك عندما أصيب أحد أقارب الأمير "وسط الصدام أصيب ابن عمه أحمد فبقى ألأمير الى جانب الجريح بعض الوقت ثم أوقف نزيف الدم وضمد الجرح ".)هنري(64 .p ,1997 ,

وبالمقابل يذكر الجانب الطبي عند اصطدام جيش فرنسا بجيش الأمير في أحد المعارك:"كان جزء من مستشفى الميدان والمدفعية قد تحول الى اليمين وغرق في مستنقع أما رجال المدفعية فقد فصلوا المدافع عن حاملاتها وهربوا")هنري(97 .p ,1997 .,

كان الأمير عبد القادر الجزائر يتبع الحرب النفسية لصد الجنود الفرنسيين ليبث الهزيمة والاستسلام في نفوسهم ويذكر شرشل الحديث الذي دار بين الأمير ودي فرانس DE FRANCE عندما كان يعيد في بناء حصن تاقدمت حيث قال :" إن جنودكم سيموتون مرضا وحتى أولئك الذين سينجون من المرض سيسقطون برصاصنا") هنري , 1997, p. 139)

وعلى النقيض منه كان الفرنسيون يملكون العدّة والعتاد اللازم للحرب ففي المعارك يتحرّك الفرنسيون في طوابير طويلة مثقلين بالمدفع وسيارات الإسعاف والمعدات")هنري, 1997, p. 192). في رحلته يكشف بروجر طريقة البناء الريفية غير الصحية التي لا تتوفر على شروط الحماية من ظروف الطبيعة القاسية "وهناك كتلة من الأشواك الجافة ما تزال تحيط بهذا لمسكن الهزيل وهي لا تحمه إلا قليلا من الرياح الجليدية القادمة من الجبال التي تتسرب من خلال الأشواك لكي تصل حتى إلى النائمين كما لو كانت الأشواك غربالا ") بروجر(2005, p. 55 , .

5. الحديث عن التدخين :

من المعروف عن الأمير عبد القادر أنه منع التدخين في دولته لما وضع أسسها أركانها لفرض النظام والطاعة ومنع انتشار المفاسد، والحفاظ على الأخلاق والآداب العامة "ولما بدأنا جولتنا كان أحدنا قد أشعل غليونه لملء الفراغ وهو ما يعتبر أمرا عاديا في مخيم عربي ولكن أول الأهالي الذي لاحظ ذلك أسرع إليه وطلب منه إطفائه ولم نفهم دوافعه في أول الأمر")بروجر(2005, p. 66 , . .

يعلل بير بروجر سبب منع التدخين بفتاوي العلماء المسلمين الذين حرموا التدخين وحتى القهوة معتبرا أنّ التحريم ليس من حكم قرآني ويحاول تزييف الحقائق والتحايل على حكم الإسلام في منع كل ما يضر بصحة الإنسان فيقول: "ولكن يبدو أن الأمير عبد القادر من المرابطين قد اعتقد أنّ عليه أن ينظم إلى الرأي أكثر تشددا وعلى الأقل في ما يخص الدخان ولذلك منع التدخين جهارا نهار في معسكره")بروجر(2005, p. 66 , والحقيقة أنّ بير بروجروغيره من الفرنسيين و الأوروبيين عندما يتحدثون عن مسألة

الجهاد والحرب ضد فرنسا يربطونها بتعصب الأمير وتشدده، فيصفون الأمير بالمتعصب والمرابطي وحتى بير بروجر يربط مسألة تحريم الدخان بحكم أن الأمير مرابطي ومتشدد.

الواقع أن التدخين مُضر من نواحي عدّة: ملوث للجو، ومضر بصحة المدخن والمحيطين به وفيه رائحة كريهة، وبذيئة تسبب الأمراض ويتكلم بير بروجر عن انتشار المقاهي "هناك عدة مقاهي عامة وأخرى متجولة حيث تدخين الغليون مباح فيها ")بروجر(2005, p. 66 ,، وليس حرص الأمير على منع التدخين في صفوف جنوده إلا لأنهم كانوا فقراء، ووصلت بعائلاتهم إلى مستوى الفقر إلى درجة بيع أثاثهم وثيابهم.

وتوحي تقارير بروجر عن مدى المراقبة الصارمة التي فرضها الأمير عبد القادر على المتعاطين للتدخين ويشير قائلا:" ولكن صرامة الأمير عبد القادر قادتنا الى استطراد يجب إن نخرج منه بسرعه في اللحظة التي كان المدخن فيها منا قد أجبر على إطفاء غليونه" (بروجر، 2005، صفحة 67.66).

6. الأمير عبد القادر البيطري:

عاش الأمير عبد القادر في وسط شعبي يعرف جيدا قيمة الحيوانات وخاصة الخيول والمواشي بكافة أنواعها، فكان الاهتمام يومي مستمر بهذه الثروة من خلال توفير الكلأ والماء والرعاية الصحية، نظرا لأهميتها في حياة المجتمع الجزائري، فكان لهم نظام دقيق وشامل لتربية هذه الحيوانات وقد تحدث بروتين اتين عن سهل غريس وعن مناسبة وسم المواشي وهو عيد تلتقي فيه كل أنواع الحيوانات (الماعز، الغنم الجمال، البغال) كما يلتقي فيه الباعة والمشترين" كان وجود الحدادين والبياطرة والقصاصين في هذا التجمع الواسع يجتذب عبد القادر " (ايتين، 1997، صفحة 87) ،

ويذكر بروجر مدى مهارة الأمير في معرفة كل ما يتعلق بالحيوانات و القدرة على معرفة مدى تشوه حافر الحصان والحصى التي تنفذ تحت العراقيب والعرج والحرن والأسنان ،وكذلك الديدان بأصنافها ، ورائحة الرّوث بكل أنواعها وحتى التميز بين البغال الكثيرة التبول (ايتين، 1997، صفحة 87)"وفوق كل شيء تعلم الأمير بيطرة الخيل وانعالها " (ايتين، 1997، صفحة 87) وكان ينصح غيره بإبلاء العناية بالحصان والانتباه

لحافره ومراقبته وتنظيفه لأن حياة الفارس رهن العناية به، وكان البياطرة يستحون من طلب الأجرة من الأمير عبد القادر عند اهتمام بحدوة حصانه.

كان البياطرة فئة متميزة في عهد الأمير عبد القادر وفي سؤال الأمير لوالده محي الدين عن هذه الفئة يجيب الوالد أن هذه الفئة معفية من الضريبة ، ويعملون لوجه الله ،وينتمون لطرق صوفية وفي حال وقوع أحد البياطرة في الأسر كانت تعطى لهم حريتهم (ايتين، 1997، صفحة 89) أن في القرآن الكريم والسنة النبوية ما يدعوا للاهتمام بتربية الخيول، والتدرب على ركوبها وقيادتها، وتعلم الفروسية، لما لها أهمية في أوقات السلم والحرب وقيام البياطرة بفحصها للتأكد من سلامة حدَوَاتها وعدم تخلخل مساميرها (ايتين، 1997، صفحة 210).

في حديث الأمير مع خدمه حول رعاية الخيل ينصحهم باحترام وقت العلف لما له دور في السير والسرعة ومواجهة العدو وينبههم بأن تبقى الخيل خفيفة وسريعة "إن الميزة الوحيدة التي تتفوق بها على الفرنسيين حاليا هي سرعة مطايانا" (ايتين، 1997، صفحة 210). ويكشف لهم عن طبيعة خيول عدوه فهي بدينة وتحمل الأثقال وبطيئة في السير، فالراحة والسمنة أكبر أعداء الحصان (ايتين، 1997، صفحة 210).

يذكر ابن عودة المزاري أنّ جيش الأمير عبد القادر اضطر لأكل الخيول المقتولة المعطوبة والمجروحة بسبب الجوع في معركة التافنة "حتى ظننا ليلة من الليالي أننا هلكنا. ووقعت المشاجرة على لحوم الخيل الذين قتلهم العدو أو عطبها " (المزاري، 1990، صفحة 159) أما الدواب الأخرى فقد ضاعت بسبب قلة الأكل الأمر الذي كاد أن يهلك الجيش.

لقد ذكر الله تعالى الخيل في كتابة العزيز بقوله تعالى: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (سورة آل عمران :الأية 14) وتبيان لدورالخيول العسكري يقول الله تعالى: { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ } (سورة النفال: الأية 60)

وقد جاء عند بعض العلماء أنّ التواطئ على ترك الخيول وإهمال اقتنائها من البدع المحرمة (التسولي، 1996، صفحة 264) أحبّ الرسول الخيل الأدهم، وقال عنه في حديثه الشريف:"خير الخيل الأدهم الأقرح الأرثم ثم الأقرح المحجل طلق اليمين فإن لم يكن أدهم فكميت على هذه الشيه" (صفحة 1696)

7-انعكاسات سياسة الأرض المحروقة الفرنسية على الصحة والاقتصاد :

تعددت دوافع الاحتلال الفرنسي للجزائر فكان على رأسها خدمة الاقتصاد الاستعماري، ومنذ الوهلة الأولى مع نزول الحملة الفرنسية على شاطئ سيدي فرج لاحت بوادر الطمع الفرنسي في الموارد الاقتصادية للجزائر.

انتقل مشروع الاحتلال الجزئي للجزائر إلى احتلال شامل في أربعينات القرن التاسع عشر وراهنت فرنسا على جنرالاتها وضباطها وعلى رأسهم الجنرال بوجو الذي طبق سياسة الأرض المحروقة، لاستئصال شأفة المقاومة الوطنية. راح ضحية هذه السياسة الهمجية الإنسان والأرض، والنبات والحيوان، وعاني الجزائريون جرّاء ذلك ويلات الحرب والجوع، والنفي والقتل، والإبادة، والتعذيب، والتهجير القسري، وغيرها من تبعات الاحتلال الفرنسي وتسببت سياسة الدمار الشامل البيجوية في نتائج كارثية على الأرض مثل: انتشار الجوع والفقر والأمراض .فمنذ 1841 بدأت قوات الأمير تواجه المصير المجهول، خاصة القبائل المساندة له في ثورته وفي شتاء 1843 وقعت مصائب كثيرة على راس الأمير" فقد راحت القبائل تتخلى عنه أمام كل هذه المصائب وبعد ان جاعت وضاعت وسحقت وطردت وعذبت وأحرقت ديارها ... والحيوانات ضامرة والنساء جائعة معزولة" (ايتين، 1997، صفحة 213) .

إنّ المأساة التي واجهها الجيش وزمالة الأمير منذ 1843تفوق الوصف بأنّ الفرنسيين في فصل الصيف من شهر ماي ضيقوا الخنق على الأمير وزمالته تحت شدة ريح السيريكو في شهر رمضان وزاد الناس ليست الا ثمار البلوط، فتعّرض الشيوخ والأطفال والنساء للأسر، ونهبت الأموال من حبوب ومواشي وذهب.

استنتاج:

من خلال ما سبق نستنتج:

-الأمير عبد القادر عبقرية بشخصيته ونضاله ومعاملاته وأخلاقه أمام دولة استعمارية تدعي احترام حقوق الإنسان والمواطن.

. ساهمت عدة عوامل في تهيئة وبناء شخصية لمير عبد القادر الجزائري وكان على رأسها عائلته المعروفة بالشرف والعلم والأخلاق والسلطة الروحية في الغرب الجزائري مما أكسبها سمعة كبيرة لدى الجزائريين.

-إضافة للدور العسكري الذي لعبه الأمير عبد القدر الجزائري نجده يتوسع في عدة علوم ومعارف دينية وعقلية.

-للأمير ثقافة طبية نستشفها من خلال ما دوّنه من كتب خاصة كتبه ذكى العاقل وتنبيه الغافل.

. تميز الأمير بإنسانيته مع العدو والخصم في الحرب، يقدم أخلاقه وعلمه ودينه على الانتقام والغدر عكس الفرنسيين.

-استطاع الأمير عبد القادر الجزائري الإلمام بمهنة الطب والبيطرة ولو أنّها كانت متواضعة وظيفها في حربه مع الفرنسيين.

- الاهتمام بالتطبيب وبناء المراكز الصحية التي تعنى بالمرضى والجرحى جرّاء المعارك التي يخوضها ضد العدو الفرنسي.

. توسيع خبرته بمجال البيطرة، ومشاركة تجربته في تقديم المساعدة للخيول والحيوانات التي تعد وسيلة هامة في الحرب.

- وضع قوانين تنظم ممارسة الطب في دولته التي أسسها منذ1832م.

تجنّيد الإدارة الفرنسية في الجزائر كل رجالها ونخبها لتوسيع هيمنتها وتوطيد أركانه بكل الوسائل والطرق، ويعد الطب أحد الوسائل الناعمة للتغلغل والنفوذ بين الجزائريين وتحبيب فرنسا إليهم.

المصادروالمراجع

. القرآن الكريم
ـــ الأمير عبد القادر. (د.ت.ن). ذكرى العاقل وتنبيه الغافل. د.د.ن.

ـ ابن الحسن الوليدي الشهري. (2006). الحجامة علم وشفاء (المجلد 1). القاهرة : دار المحدثين
ـ احمد الزيات وآخرين ـ المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، . (د,ت).
ـ ايتين برينو. (1997). ـعبدالقادر الجزائري. (ميشال خوري، المترجمون) لبنان : دار عطية للنشر
-بن رويلة قدور. (د.ت). وشاح الكتايب وزينة الجيش المحمدي الغالب (المجلد د.ط). د.م.ن.
-بيير بروجر. (2005). رحلة وفد فرنسي لمقابلة الأمير عبد القادر في البويرة1837–1838. (المجلدات د,ط). (بوالقاسم سعد الله، المترجمون) منشورات المركزالوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول وفمبر.
ـ بوعزيز يحي. (1983). الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري. تونس : دار الكتاب.
ـ هويدي الحيدري.عبد الامير (د.ت). الأمير عبد القادر الجزائري ودوره السياسي والعسكر. مجلة جامعة بابل ،مج17، صفحة 481.
ـ طاهري عبد المالك. (2020). الرحالة والمستكشفون الفرنسيون في توات خلال القرن التاسع عشر ودورهم في احتلال المنطقة. مجلة عصور الجديدة، المجلد 10، العدد'4، صفحة 310.
ـ منشورات مخبر البحوث الإجتماعية والإنسانية. (2015). الأمير عبد القادر عبقرية في الزمان والمكان. الجزائر: مكتبة الرشاد للطباعة والنشر.
ـ المزاري ابن عودة. (1990). طلوع سعد السعود ، تحقيق ودراسة ز ،ج2 (المجلد 1). دار الغرب الاسلامي.
ـ أبو قتادة (1934).صحيح البخاري. مصر. مطبعة الأزهرية بالأزهر
- سعيدوني ناصر الدين. (د.ت). عصر الأمير،يالكويت. مؤسسة جائزة عبدالعزيزسعود البابطين للإبداع الشعري.
ـ صليحة علامة. (د.ت). الطب الفرنسي في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية أداة للهيمنة وحقل للتنصير. مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية لعدد 18، صفحة 140.
ـ الشقراني أحمد.(د.ت). القول الأوسط في أخبار من حل بالمغرب الأوسط، (المجلد 2). الجزائر: البصائر للنشر والتوزيع.

التسولي. (1996). أجوبة التسولي على مسائل الأمير عبد القادر (المجلد 1). بيروت: دار الغرب الاسلامي.
ـ تشرشل شارل هنري. (1997). حياة الامير عبد القادر (المجلد ط1). (أبو القاسم سعد الله، المترجمون) مطبعة الدار لتونسية للنشر

-arousset, C. (1887). *l'algérie de 1830 _1840 :les commencements d'une conquete* (Vol. 2). paris: ,librairie plon
-lex, B. (1863). *abdelkader* . paris: saviepolitique et militaire,librariede L.hachetteet cie.
-rousset, C. (1887). *l'algérie de 1830 _1840 :les commencements d'une conquete* (Vol. 2). paris: ,librairie plon,,,.